النقد القرآني للانحراف العقلي والعقدي

الأستاذ المساعد الدكتور
محمّد كاظم الفتلاوي
جامعة الكوفة ـ كلية التربية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية
mohammedk.alfatlawy@uokufa.edu.iq

النقد القرآني للانحراف العقلي والعقدي

الأستاذ المساعد الدكتور
محمّد كاظم الفتلاوي
جامعة الكوفة ـ كلية التربية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية
mohammedk.alfatlawy@uokufa.edu.iq

مقدمة..

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

اما بعد.. يتساءل القارئ عن أهمية هذا البحث في دراسة الأفكار والعقائد عند الأفراد، وللإجابة نقول: إن تغيير الأفكار والاعتقاد والآراء يؤول الى تغيير السلوك بالحتمية اللازمة بناءً على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(١)

إذ تُعد الأفكار والعقيدة بداية لتغيير مسار سلوك الإنسان، فالشخص الذي لديه اتجاهات إيجابية صحيحة وتتم تربيته على الصواب فإننا نعتقد أنه سيسلك الطريق الصحيح إذا ما توفرت له الظروف المناسبة لهذه المواقف، وبالمقابل فإن الشخص الذي يحمل أفكاراً وعقائد سلبية عن الآخرين، وجرى التغرير به فانه سيسلك اتجاهات عدائية اتجاههم، ما يؤول الى ان يصدر منه سلوكاً مؤذياً نحوهم.

فالتفكير المنحرف هو تفكير يتميز بالشر والمكيدة ويقوم على إثارة الأكاذيب والمكر والوقيعة بين الناس. وغالباً ما يسعى إلى إثارة الجدل والفتن بما يحويه ويطرحه من مسائل خلافية جدلية لم يستقر عليها كل الآراء ولم تتفق عليها كل الاتجاهات، فتتسع دائرة الخلاف وتضيق دائرة الاتفاق بين الأفراد والجماعات، وينعكس كل ذلك على استقرار المجتمع وأمنه.

ومن مخاطر الانحراف الفكري على الأمن العقائدي بشكل خاص، التجرؤ على أحكام الدين بإصدار فتاوى التكفير والتبديع والتحليل والتحريم، والخوض – جهلاً – في مسائل العهد

والأمان والذمة وأحكام الجهاد والحرب والسلم من دون معرفة كافية لمراتب الأحكام أو مراتب الناس، فيظهر تعسيف النصوص والاجتهادات المخالفة لواقع الشريعة الصحيح.

كما يؤمن أصحاب الفكر المنحرف بامتلاكهم الحقيقة المطلقة وتعذر تعايشهم مع الآخرين، وتضيق صدورهم بالرأي المخالف إلى الحد الذي قد يدعوهم إلى استبعاد صاحبه وتصفيته جسدياً وفكرياً. وفي مواجهة ذلك يقف الفكر الديني المتسامح المتسم بالوسطية والذي لا يجد أصحابه تعارضاً بين يقين ديني يؤمنون به أو يدعون إليه، وبين الآخرين في اعتناق ما يرونه من عقائد دينية يؤمنون بها ويدعون إليها.

فكان مما تقدم أسباب اختيار موضوع البحث وأهميته، وبما ان للقرآن الكريم قصب السبق في نصوصه المشخصة لهذه الانحرافات (العقلية والعقدية)، وغايته منها بيان الصالح من غيره، وهذا أصل النقد القرآني، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾[٢]، فكانت انتقادات جذرية دار عليها البحث في نصوصه، والذي عنونته بـ(النقد[٣] القرآني للانحراف العقلي والعقدي)، وكان على مطلبين الأول النقد القرآني للانحراف العقلي، واما في المطلب الثاني فهو النقد القرآني للانحراف العقدي، ثم خاتمة وقد اودعت فيها أهم النتائج ومن الله التوفيق.

المطلب الأول: النقد القرآني للانحراف العقلي

إن العقل الإنساني أنما هو استعداد فطري وإن من طبيعته الميل للبحث عن المعرفة والسمو الدائم لتحصيل ما لم يسبق تحصيله، فالماديات والمحسوسات هي العوائق له عن تحقيق ماهيته[٤]. ولهذا كان للقرآن الكريم أثر واضح في نقد هذه العوائق التي تعيق البناء العقلي ومن هذه النقودات ما نلحظه في نقد:

أولاً: نقد الجهالة: ورد على لسان نوح وهود(M): ﴿ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾[٥]، وذكر القرآن الكريم على لسان موسى(عليه السلام):﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[٦].

إن هؤلاء القوم لم ينطلقوا في مواقفهم عن علم أو منطق قويم بل انطلقوا من الجهل المناقض للعلم في الوقت الذي يقرر فيه النص القرآني ان الجهل يؤدي إلى التكذيب: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾[٧].

قال الآلوسي(ت١٢٧٠هـ): (فلجأوا إلى تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه أو ينتظروا وقوع ما اخبر به من الأمور المستقبلية)[٨].

ثانياً: نقد الشك: الشك بمعنى الريبة، والشك نوع من أنواع الجهل وهو أخص منه لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأساً، فكل شك جهل وليس كل جهل شكاً[٩].

جاء على لسان قوم صالح (عليه السلام): ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾[١٠]، فنلحظ ان هذا الشك الذي يتلزمه القوم غير مبني على دليل او برهان! إنما الشك لأجل الشك لا غير، فهم مع إقامة الدليل الساطع عليهم والبينة لا يقرون لرسلهم بصدق رسالتهم، فهذا الشك يبطله القرآن الكريم بإقامة الحجة الواضحة فلا يكون له اثر على صاحب الدليل واليقين، فنلحظ ان الشك لا اثر له مع اليقين، فكان هنا الرد حاضراً لهم من نبيهم _ إذ قال ناقداً شكهم هذا بقوله: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾[١١]، فلا معنى للشك مع اوضح الواضحات إلا إنه علة لعدم الإيمان، قال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[١٢]، وذلك ان (الإيمان بحاجة الى اليقين، والشكّ مانع لذلك)[١٣]، فكان النقد القرآني صريحاً ضد هذا المانع العقلي غير المبني على أُسس يقينية.

ثالثاً: نقد الجمود الفكري: مِن ابرز معالم جمود الفكر هو تقليد الآباء والتعصب لآراء الأولين، والأخذ بها دون تدبر وفهم، ومن ثم يكون عقبة أمام وسائل بناء العقل الأخرى، قال تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[١٤]، قال ابن عاشور: (أي لا يدركون شيئاً من المدركات، وهذا مبالغة في إلزامهم بالخطأ في اتباع آبائهم من غير تبصر ولا تأمل)[١٥].

ومن أسباب هذا الجمود الفكري هو الخوف من الجديد، وما يأتي من تطورات فالقديم يستأنس به الإنسان ويعرف حدوده ومعانيه، أما الجديد فإنه يتطلب طاقات فكرية واجتهاد، والسعي في هذه الأمور يرهق العقل الذي تعود على التراخي والكسل والأفكار الجاهزة.

ولا فرق في الإسلام بين تقليد النماذج القديمة كالآباء وغيرهم أو النماذج الجديدة، فكلا النوعين تقليد واقتفاء ومحاكاة، فهو يعيب قولهم: ﴿ فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾[١٦] فأتبعه بعض بني اسرائيل في عبادة العجل والتصديق بأنه إله كما زعم لهم[١٧].والنصوص القرآنية باعتبارها آخر نصوص الشرائع السماوية قد تضمنت من المبادئ ما يجعلها تساير الزمن، وتواكب الحياة المتطورة، فنقدت أي جمود فكري؛ ومن ثم كان اجتهاد الفقهاء الأوائل الذين خلفوا لنا ثروة واسعة عظيمة، ومع هذا فإن هؤلاء الفقهاء لم يحجروا على العقول، ولم يوجبوا على الناس التقليد الأعمى لمذاهبهم، ولم يزعموا أن آراءهم هي القول الفصل الذي ينبغي أن يلتزم الناس بها، لأنهم كانوا يؤمنون بأن كل قول يصح أن يؤخذ منه وأن يُترك، إلا قول الله تعالى والمعصوم _، وإن القرآن الكريم لا مجال فيه للسبات الفكري

مع هذا فقد ظهرت نزعة تدعو إلى تقليد المذاهب وسد باب الاجتهاد.

رابعاً: نقد الإعراض ورفض الحوار: وحتى لا تقوم الحجة يقوم بعضهم بالهرب من الحوار والامتناع من الاستماع، وقد نقد القرآن الكريم هذا السلوك الذي يفضي الى ان يحرم الإنسان نفسه من الفائدة والهُدى، وقد جاء على لسان نوح (عليه السلام): ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾[١٨]، يقول السيد الطباطبائي: (أي والحوا على الامتناع من الاستماع واستكبروا عن قبول دعوتي استكباراً عجيباً)[١٩].ومن الجدير بالذكر ان هناك ضوابط للحوار والنقد في الإسلام من أهم ما يمكن أن يكون الباحثون فيه على ذكر حتى يرجعوا إلى تصحيح سلوكهم القولي، ما بين الفينة والأخرى في ضوء هذه الضوابط التي رسم القرآن الكريم معالمها الأساسية، عندما نهى المؤمنين عن ألوان من الشطط في استعمال اللسان والقلم، لافتاً إلى خطورة السخرية الجماعية المبنية على عصبية، وإلى السخرية الجنسية بين النساء.

خامساً: نقد التفكير المادي: وهذا من مبادئ ماركس (ت١٨٦٩م) الذي يرى انه لا إله، والحياة مادة والعالم بطبيعته مادي (يتطور تبعاً لقوانين حركة المادة وهو ليس بحاجة لأي عقل كلي)[٢٠].

ويتجسد بطلان هذا المبدأ المادي في أننا لا نرى الروح ولا النفس ولا حتى العقل بل ولا نرى حتى بعض المظاهر الحسية الطبيعية كالطاقة الكهربائية، بما يعني أن الحواس ليست هي الحاكم الوحيد في مسألة الإيمان والتدبر.

وقد لحظنا هذا المبدأ من قبل عند بني اسرائيل ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾[٢١]، وفي هذا دلالة (على عجرفتهم وقلة اكتراثهم بما أوتوا من النعم وما شاهدوا من المعجزات حتى راموا أن يروا الله جهرة، وان لم يروه دخلهم الشك في صدق موسى)[٢٢]، فالإيمان عندهم بالبصر ولم يكن بالبصيرة وسؤالهم لم يكن (سؤال استرشاد بل سؤال تعنت وعناد)[٢٣] وبهذا أهملوا إعمال العقل وركنوا الى الماديات. وقد أُتهم بالمقابل بعضهم بأنهم يفسرون الظواهر الطبيعية بالقدرة الإلهية وهذا بالمحصلة تجميد وعدم التدبر وفقدان الإيمان بمبدأ العلية للعقل، وهو الغاء لقوانينها التي يكتشفها العلم، وهذا ان صح لا يفرق كثيراً عن موقف الكنيسة من العلماء في القرون الوسطى[٢٤].

وهذه مغالطة كبيرة فالله سبحانه هو مسبب الأسباب، وآلى على نفسه إلا ان يجعل لكل شيء سبباً، ولا معنى للمفهوم الإلهي إلا في الاعجاز، والسبب الرئيس في الوجود والنواميس العلمية.

وهذا المعنى واضح جلي في قول الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)، إذ قال: (أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً..)[٢٥].

سادساً: نقد التفكير السطحي والسذاجة: ليس بالضرورة أن يكون التفكير السطحي خاصاً ببسطاء الناس، بل ان كثيراً ممن يدَّعون العلم ينظرون إلى الأمور وكأنها سائرة بذاتها، من غير تأمل بأن لهذا الكوكب ومن فيه مدبراً ومحركاً، وانه يسير على وفق نظام دقيق مجهول، فمتى كانت الطبيعة تدير نفسها بنفسها؟!! ومتى كان الموت والحياة عبثاً من غير غاية، كما ادعى ذلك قوم في تفكيرهم السطحي ونلحظ كثير منهم اليوم، ولسان حالهم وواقعهم يقول: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[٢٦]، نعم فهذا هو (شعارهم المعبّر عن فتنتهم وضلالهم الصارخ: فلنغتنم هذه الفرصة فلا خبر جاء ولا وحي نزل، ومَن يدّعي ذلك فهو كاذب! وعصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة .. هكذا كانوا يبرّرون إنكارهم ليوم البعث)[٢٧] بتفكير سطحي ساذج لا يتعدى ما يرونه بأعينهم من غير بُعد نظر وعمق تفكير، والقرآن الكريم ينقد هكذا تفكير سواء في الماضي او الحاضر، وان لهذه الدنيا غاية وان بعدها حساب، قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٢٨].

إن جميع مظاهر الكون ومعالم الطبيعة تحتم على المتأمل فيها ومتدبرها أن ينتهي إلى أن لهذا الوجود غاية، وان لا يجعل مما يحيطه وكأنه أمر عفوي، بل لابد من وجود مسبب، وأن هناك عبرة وراء الظواهر، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[٢٩]، وان العاقل يفرض الاحتمالات ويسبرها ولا يجمد على الظواهر(غير المحتاجة إلى النظر العقلي وهي المحسوسات والمجربات والامارات)[٣٠].

سابعاً: نقد التفكير الاستعلائي أو التكبري غير المسوغ: أشار القرآن الكريم إلى استخدام ابليس لهذا النوع من التفكير: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾[٣١]، فقد امتنع ابليس من السجود بعذر هو أكبر من الذنب، إذ لجم تفكيره في (أصل العنصر ولم ينظر إلى التشريف العظيم، وهو ان الله تعالى خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه، وقاس قياساً فاسداً في مقابلة نص قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٣٢])[٣٣]، وهو كذلك أسلوب أحمق في الاجابة، لأن (الجواب المطابق للسؤال منعني كذا وهذا جواب عن أيكما خير؟)[٣٤].

وفي حقيقة الأمر أن التكبر هو السبب الأساس لهذا الجواب، وهو ما يوضحه أمير المؤمنين علي(عليه السلام) وهو يذم التكبر والعُجُبَ في خطبته القاصعة إذ يقول: (فاعتبروا بما فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنه لا يدرى أمن سني الدنيا أم سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة، فمن ذا بعد ابليس يسلم على الله بمثل معصيته؟)[٣٥].

والغريب في هذا المقام ما ذهب إليه الآلوسي من أن إبليس هو من (اخترع القول بالحسن والقبح العقليين)[٣٦].

ويرى الباحث أن في هذا القول تجني على الحقيقة من وجوه:

١- إن الشواهد القرآنية الدالة على إعمال العقل والتدبر زاخرة في الكتاب العزيز، ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ،...﴾[٣٧].

٢- إن ما صنعه إبليس ما كان إلا مغالطة في الجواب، كما اتضح في حماقة الإجابة.

٣- أنه عمد إلى القياس وهو كما قال ابن كثير: (قياس فاسد) ولو في محل الشاهد هنا.

٤- ان أي إنسان مهما كان دينه ومسلكه واينما حل من بقاع الأرض يدرك بنفسه حُسن العدل، وقبح الظلم، ولا يوجد انسان عاقل ينكر هذا.

٥- أن العقل الإنساني قادر على إدراك حسن بعض الأفعال أو قبحها، وهو المستفاد من الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[٣٨] . (فدل هذا على أنه يقبح عقلاً ما حكي عن أهل السنة انه يجوز ان يدخل الكفار في الجنة والمطيعين في النار)[٣٩].

وأخيراً يرى الباحث أن الذي يُستفاد من جواب إبليس وقصته أنه أول من أسس لنظرية الجبر، إذ أراد أن يبرر امتناعه عن السجود، بأن ينسب إلى الله سبحانه الجبر، حيث قال: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[٤٠].

وفي هذا الأسلوب من السلبيات ما إذا اعتمده الإنسان حَرَمه من خبرات الآخرين وعدم القدرة على تطوير نفسه، ومن ثم اعتماد الكذب وإحالة عقله لممارسة الحيل والخداع، وهو خلاف ما أراده الله سبحانه من بناء هذا العقل وتطويره.

ثامناً: نقد الجدل بغير الحق: الجدال هو (المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وقيل الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة)[٤١].

وكلمة (الجدل) أخذت مدلولاً جديداً يوحي بالطريقة التي يتبعها المتناظران أو المتجادلان، ليغرقا حديثهما أو مناظرتهما بالكلام العقيم، الذي يقترب إلى الترف الذهني، بما يثيره من قضايا جانبية أو مناقشات لفظية، تخضع الفكرة إلى متاهات لا يعرف الإنسان كيف تنتهي، وأين تستقر![٤٢] ولعل السبب في ذلك هو أن الجدل تحول إلى صناعة يقصدها الكثيرون لذاتها لا

من اجل احقاق الحق أو دفع باطل، ومن ثم الجمود على الاصرار والعناد المبني على أوهام يجعلها الإنسان بنفسه فيبني فكرته عليها، ومن ثم يجادل عليها، من غير النظر في حجة الآخر، مع انعدام الدليل على هذه الموضوعات ومن ثم الضلال.

والقرآن الكريم ينقد هكذا جدال غير مبني على قواعد علميّة وحقائق ثابتة، وهذا النقد نلحظه في قوله تعالى: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾[٤٣]، قال الآلوسي: (والمعنى أتخاصمونني في مسميات وضعتم لها أسماء لا تليق بها فسميتموها آلهة من غير ان يكون فيها من مصداق الإلهية شيء... والذم الذي يفهمه الكلام متوجه إلى التسمية الخالية عن المعنى المشحونة بمزيد الضلالة والغواية والافتراء العظيم)[٤٤].

والقرآن إذ ينقد هذا الأسلوب في بناء العقل فهو يضع اسلوباً آخر في المجادلة ولكن ليس من باب المجادلة لغرض المجادلة بل دعوة بالقياس الجدلي الذي هو إيراد مقدمات مسلمة للخصم وإن لم يكن حقه أي أحسن طرق المجادلة والمباحثة والمماراة بحيث لا يكون فيها مكابرة ولا صياح بحيث لا يفهم المخاطبة ولا اعراض ولا شتيمة، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٤٥]. فيُريد القرآن الكريم هنا المناظرة (بالطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر واستعمال المقدّمات المشهورة تسكيناً لشغبهم وإطفاءً للهبهم)[٤٦].

تاسعاً: نقد التبعية الفكرية: وصف الله سبحانه حالة الضعف كحالة تعتري الإنسان، وقد تؤدي إلى الانقياد والتبعية ومن ثم هيمنة الفكر الآخر المستكبر، فنجده ينقد هكذا تبعية فقال تعالى: ﴿ فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٤٧]. يقول سيد قطب: (والضعفاء هم الضعفاء، هم الذين تنازلوا عن أخص خصائص الإنسان الكريم على الله حين تنازلوا عن حريتهم الشخصية في التفكير والاعتقاد والاتجاه، وجعلوا انفسهم تبعاً للمستكبرين والطغاة، وأدانوا لغير الله من عبيده واختاروها على الدينونة لله... والقوة المادية– كائنة ما كانت– لا تملك أن تُعبِّد إنساناً يُريد الحرية، ويستمسك بكرامته الآدمية، فقصارى ماتملكه تلك القوة أنْ تملك الجسد، تؤذيه وتعذبه وتكبله وتحبسه، أما الضمير، أما الروح، أما العقل، فلا يملك احد حبسها ولا استذلالها، إلا أن يسلمها صاحبها للحبس والإذلال)[٤٨]، ومن ثم يُسلّم زمام أموره إلى هيمنة الآخر فلا ينفع حينها مقولة قائل، لأنهم فقدوا صناعة القرار الذاتي، فأصبحوا مصنوعين لا صانعين، مقودين لا قادة، وهم الذين ذابت شخصياتهم فذاب قرارها

الخاص بها في غيرها، ومن هان على نفسه، هان على الناس، (فهم يتخذون القوة دليلاً على صحّة الزّعم والرأي الذي يقوله الحاكم والمستكبر، فأكثر الآراء والمعتقدات انتشاراً على مرّ التاريخ هي تلك التي روجها الحُكام بفرضهم تلك المعتقدات الفاسدة)[٤٩] جراء هذا الاتباع، إذ يقول الضعفاء للمستكبرين: ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾، أي (مهما امرتمونا ائتمرنا وفعلنا)[٥٠]، وهذا تسليم واضح منهم من غير دليل علمي أو برهان ساطع، بل خضوع وتبعية فكرية سالبه.

عاشراً: نقد غلبة الشهوات على العقل: الإنسان عندما تعرض عليه شهوة من الشهوات إما أن يتبعها وإما أن يجاهدها ويدافعها، فإن اتبعها ذهب راجح عقله، وإن لم يتبعها ظهرت رجاحة عقله، فتجرده منها يرفع من شأن الإنسان، وعندها يتحقق تميزه في تحكيم العقل دون غيره ليكون مؤتمراً به.

والقرآن الكريم نقد هكذا شهوات صارفة للعقل وان مآلها الزيغ والانحراف في سلامة التفكير، قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾[٥١]، قال الآلوسي: (يعني الفسقة لأنهم يدورون مع شهوات أنفسهم من غير تحاش عنها فكأنهم بانهماكهم فيها أمرتهم الشهوات بإتباعها فامتثلوا أمرها واتبعوها)[٥٢]، وهذا المعنى أيضاً نلحظه في قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[٥٣]، فلو حكّم هؤلاء عقولهم ما تبعوا شهواتهم، بل اتبعوا سلفهم الصالح، ولكن ضعفت أنوار عقولهم لغلبة الشهوات (الصارفة لهم عن المجاهدة في الله والتوجه إليه)[٥٤]، فلا توجه هذه الشهوات الإنسان نحو خالقه كالعقل الذي فُضّل به على سائر المخلوقات، وهو في صراع مع الشهوات المانعة عن كمال العقل، فمن المعلوم ان ميزة الإنسان على سائر المخلوقات العقل، فإن ذهبت مقومات العقل السليم صار بهذا احط من سائر المخلوقات ومنها الحيوانات، وهذا المعنى النقدي لغلبة الشهوات نلحظه في قول ربيب القرآن الإمام علي عليه السلام إذ قال: (فمن غلب عقلُه شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوتُه عقله فهو شر من البهائم)[٥٥].

أحدى عشرة: نقد الاعتقاد بالاوهام والخرافات: وهذا المانع من بناء العقل ناتج عن الاقتران والسببية، والذي ينم عن سطحية التفكير، فيحكم على الأشياء من خلال بعض الظواهر، فتأتي الأحكام عشوائية، لا رابط بين السبب والفعل، فـ(الاوضاع التي يعيشها الإنسان في المجتمع والبيئة التي تحيط به لها الأثر الكبير في الاتجاهات الفكرية التي يتخذها إذا لم يحتكم إلى المنطق والعقل السليم، والمجتمع الذي يعيش تعقيداً إقتصادياً واجتماعياً معيّناً يعكس أفكاراً ونظريات واتجاهات تنسجم مع وحي ذلك

التعقيد، – وهذا – ليس مصدراً سليماً من مصادر المعرفة لأنه لا أساس له من العقل والمنطق إنما هو خيالات نفسية ينشأ بعضها من الألفة والعادة وبعضها من الخيالات والأوهام.. وهي كلها مناشئ غير موضوعية يريد القرآن تهذيبها وجعلها قائمة على العلم والمنطق والمعرفة الحقيقيّة)[٥٦]، ومثال ذلك ما نجد صورته في التطير[٥٧] الذي يعتقده الإنسان جراء الابتعاد عن منطق العقل الذي يربط الأسباب بالمسببات، وهنا لا وجود للأسباب الداعية لهذا التشاؤم سوى الاتباع لوسوسة الشيطان، والإيمان بهذه العقيدة – عقيدة الاوهام النفسية –، من دون إعمال للعقل.

وهذا النقد القرآني واضح في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾[٥٨]. قال ابن عاشور: (الذين زعموا ذلك قوم فتنهم الشيطان فتنة متجددة بإلقاء الاعتقاد بصحة ذلك في قلوبهم)[٥٩]. والقرآن الكريم إذ ينقد هذا الاعتقاد بالأوهام وسيطرتها على مسيرة حياة الإنسان وما تسببه له من تفكير خاطئ أمام وقائع الحياة بما فيها من محن ومصائب فإنها مقدرة بعلم الله تعالى ولا شأن لهذه الظواهر والاشياء أي دخل فيها، وهذا المعنى نجده في القرآن الكريم كجزأ من النقد لهكذا اعتقادات، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٦٠]، فهي (مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى أو في اللوح)[٦١].

اثنتا عشرة: نقد الجحود (المكابرة والظلم): والجحود هو (نفي ما في القلب إثباته، واثبات ما في القلب نفيه)[٦٢] والجحود قرين المكابرة التي هي (مدافعة الحق بعد العلم به)[٦٣]، وهذا العناد والتكبر ناشيء عن الظلم وسوء السريرة التي يتصف بها الإنسان أحياناً في مخالفة حتى بواطن نفسه، فهذا الفكر لم يكن يسمح لهم بإعلان ما يعتقدون، بسبب العناد والمكابرة والظلم، وهو الواضح في قوله تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا..﴾[٦٤]، فأي (ظلم أفحش من ظلم من استيقن انها آيات بينة من عند الله تعالى، ثم كابر)[٦٥]على حساب العقل، فكان مانعاً من ان يثمر فيه صوت العقل ونور المنطق، لما ظلموا في الأرض، فالله تعالى قد لعن الظالمين أنهم يصدون عن سبيل الله، والصد عن سبيل الله تعطيل للعقل في اتخاذ الطريق المستقيم، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾[٦٦] .

وفي مجال هذا النقد وغيره أيضاً نلحظ وجوب مراعاة العامل النفسي للمخاطب، واستعمال اللين والكياسة معه حتى لا نثير فيه الكوامن النفسية من جحود ومكابرة ومن ثم جرئته في الاعتداء بالمثل على مقدساتنا، قال سبحانه: ﴿وَلا تَسُبُّوا

الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ...﴾[٦٧].

ثلاث عشرة: نقد شرب الخمر: ووقع أختيارنا على هذا المحرم دون غيره لما له الأثر البالغ والمباشر على العقل، فأصل الخمر هو ستر الشيء، ويُقال لما يُستر به خمار، فهي خامرة لمقر العقل[٦٨].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾[٦٩]، والتعبير بكلمة (فَاجْتَنِبُوهُ)، يقتضي الاجتناب المطلق الذي لا ينتفع معه بشيء بوجه من الوجوه، لا بشرب، ولا بيع، ولا تحليل، ولا مداواة، ولا غير ذلك[٧٠]. وبهذا إذن (يحرم شرب الخمر، الفقاع (البيرة)، وكل مسكر، أو موجب للنشوة (السكر الخفيف)، جامدا كان أو مائعاً)[٧١].

ويمكن ان نلتمس كلمة الاجتناب في ضوء كلام أمير المؤمنين(عليه السلام)، إذ قال: (لو وقعت قطرة خمر في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها، ولو وقعت في البحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم ارعه)[٧٢].

وبهذا نلحظ المنهج القرآني في تحريم الخمر، ولتبين أن الخمر داعية لأمهات المفاسد الدينية والدنيوية، ولا توجد مفسدة هي أعظم وأجل عند الله سبحانه، كفساد العقل وذهابه، فالعقل أكرم مخلوق عند الله سبحانه، قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): (لما خلق الله العقل، استنطقه، ثم قال له: اقبل فأقبل، ثم قال له: ادبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب الي منك ولا اكملتك إلا فيمن احب، اما إني اياك آمر، وأياك أنهي، واياك اعاقب، واياك اثيب)[٧٣].

ونظراً لهذه الأخطار الكبيرة للخمر على العقل، فإن التحريم لم يكن جديداً في الشريعة الإسلامية فحسب، بل الظاهر على لسان كل نبي مبعوث من السماء[٧٤]، وذلك لما يتمتع به العقل بكونه مناط التكليف كما تقدم، والخمر مانع لهذا التكليف ومعطل له.

المطلب الثاني: النقد القرآني للانحراف العقدي:

البناء التحتي لكل نشاطات الإنسان يعتمد على العقيدة؛ لأن فعاليات الإنسان العملية تنطلق من أُسس فكره واعتقاده، لا كسائر الحيوانات المدفوعة في حركاتها بدافع غريزي، فأعمال الإنسان بلورة لعقائده وافكاره، ومن هنا فإن جميع الأنبياء(عليهم السلام) بدأوا قبل كل شيء بإصلاح الأُسس الاعتقادية للأمم والشعوب، وحاربوا الشرك بشكل خاص، باعتباره أساس أنواع الرذائل والتمزق الاجتماعي.

فكان القرآن الكريم منهجاً علمياً يساعد الإنسان على بناء ذاته، والارتقاء بها في مرضاة الله تعالى، وارشاده إلى ما يحقق الضبط الداخلي لنفسه ضد الانحرافات العقدية، وغيرها من

الأفعال والأقوال، وقد استعمل القرآن الكريم سُبلاً شتى وأساليب متنوعة من أجل بناء عقيدة راسخة متينة تؤتي أُكلها وثمارها على الواقع العملي.

ولابد لكل أمر – حتى يوجد ويتحقق – من تحقق مقتضيات وجوده وزوال موانعه، وللعقيدة مقتضيات عُني القرآن الكريم بتحقيقها وإيجادها وموانع أو عوائق عُني بنقدها ومن ثم إزالتها ومعالجتها، وهذه الموانع منها موانع نفسية ومنها عقلية ومنها اجتماعية، والتي تبدو في ما يأتي:

أولاً: نقد الجهل: ان الجاهل بأمرٍ ما كالإناء الفارغ، يستقبل ما يُلْقى إليه، فيتبع ويقلد كي يملأ هذا الفراغ، ولقد وجد في التأريخ البشري من جهل حقيقة التوحيد فعبد غيرَ الله، ووجد من جهل حقيقة النبوة، فراح يجادل فيها ويكابر ويعاند، ووجد من المسلمين من جهل دينه فراح يخلط بينه وبين الأديان الأخرى، وسنتناول في هذه المسألة الجهل بحقيقة التوحيد والنبوة بوصفهما من أهم الأصول العقدية.

١– نقد الجهل بحقيقة التوحيد: ذكر القرآن الكريم أناساً جهلوا حقيقة التوحيد فعبدوا غير الله، فهاهم بنو إسرائيل يطلبون من موسى(عليه السلام)– وهم حديثو عهد بالمعجزة – أن يجعل لهم إلهاً صنماً، تقليداً لعبدة الأصنام، قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[٧٥]، فبعد أنْ نجاهم الله سبحانه من بطش فرعون وما لمسوه من معجزات، اخذوا يطلبون بجهلهم مالا يجوز لهم، يقول الطبرسي: (وفي هذا دلالة على عظيم جهلهم، بعدما رأوا الآيات المترادفة، والمعجزات من حيث توهموا أنه يجوز عبادة غير الله تعالى، ولم يعرفوا أنَّ المجعول لا يكون إلهاً، وان الأصنام لا تكون آلهة، ويمكن أن يكونوا قد ظنوا أنه يجوز أن يُتَقَرَّب إلى الله تعالى بعبادة غيره، وإن اعتقدوا أنه لا يشبه الأشياء ولا تشبهه..)[٧٦] وبسبب جهلهم هذا طلبوا أنْ يكون لهم إله كما للقوم آلهة ليعبدوه كما يعبدونها.

ويؤكد محمد رشيد رضا أنَّ أبرز مظاهر الجهل عند بني اسرائيل، وأنسبه بهذا المقام، هو (جهل التوحيد وما يجب من إفْراد الرب تعالى بالعبادة من غير واسطة، ولا التقليد بمظهر من المظاهر يتوجه إليه معه، ولاسيما مظهر الأصنام والتماثيل لبعض المخلوقات التي أغتر الجاهلون من قبل بنفعها أو الخوف من ضررها)[٧٧].

وكما طلب جهلة بني إسرائيل من موسى(عليه السلام) أن يجعل لهم إلهاً كما للوثنيين آلهة، طلب جهال الأعراب من الرسول(صلى الله عليه وآله) أن يجعل لهم ذات انواط كما للكفار ذات أنواط، وذلك أنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى حنين و(كان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، قال: فمررنا بسدرة خضراء

عظيمة، قال: فقلنا يارسول الله إجعل لنا ذات أنواط، فقال رسول الله(ﷺ): قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾[٧٨]، إنها لسُنَن لتركبن سُنَنَ مَنْ كان قبلكم سُنَّةً سُنَّةً)[٧٩].

كذلك كان كفار مكة يطلبون من نبي الله(ﷺ) أنْ يعبد آلهتَهم[٨٠]، فكان الأمر الرباني للنبي(ﷺ) أن يرد على المشركين رداً شديداً يصفهم فيه بالجهل، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾[٨١]، فمن جهلهم طلبوا تقليده لهم في عبادة غير الله تعالى واتباع دين آبائهم.

يقول سيد قطب: (وهو الاستنكار الذي تصرخ به الفطرة في وجه هذا العرض السخيف الذي ينبىء عن الجهل المطلق المطبق المطموس)[٨٢]، فلقد جهلوا صفات الله تعالى، وجهلوا فساد عبادة الاصنام، فعبدوها من دون الله سبحانه جهلاً وتقليداً لآبائهم، وهذا شكل خللاً في بناء شخصيتهم العقائدية.

أما الجهل بحقيقة العبادة ومدلولها ومستحقها فعمد بعضهم إلى اتَّهام شريحة من المسلمين بالشرك، استناداً إلى بعض الممارسات التي لم يفهم هؤلاء التكفيريون وجهها ولم يعوا فلسفتها ولم يفقهوا مغزاها كزيارة القبور وبعض الشعائر والطقوس الدينية، فراحوا يطلقون بإخوانهم في الإسلام وشركائهم في الإيمان شتى التهم شركاً وكفراً وإلحاداً وزندقة وردَّةً، مصورين هذه الزيارة عبادة[٨٣]، مستدلين بأنه في سالف الأزمان كانت العرب تعبد قبور الصالحين من قومهم، وأنَّ هذا الأمر تطور بمرور الازمان والاجيال، فذكر القرطبي أنَّ الخلق جهلوا أغراض سلفهم في تلك الصور فعبدوها، يقول: (قال علماؤنا: ففعل ذلك أوائلهم ليتأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله ﷻ عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم إنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم، ووسوس لهم الشيطان أنَّ آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها)[٨٤]، وهذا بطبيعته جهل من قبل الخلف، وما آل إليه أمرهم إلى عبادة تلك الصور.

أما اتهام ما عليه فرق من المسلمين بالشرك والكفر لزيارتهم القبور، فهو جهل ووهم بأنهم يعبدونها، إذ إن الواقع يغني عن الكلام والبحث، ويكتفي الباحث هنا بما اكده الإمام أبو القاسم الخوئي وهو في مورد الرد على الجاهلين القائلين أن زيارة القبور عبادة لأصحابها، يقول(رحمه الله): (والذي اوقع ابن تيمية في الغلط- إنْ لم يكن عامداً لتفريق كلمة المسلمين- هو تخيله أنَّ الأمور المذكورة شرك، وعبادة لغيره، ولم يدرك ان هؤلاء الذين يأتون بهذه الأعمال يعتقدون توحيد الله، وأنه لا خالق ولا رازق سواه، وأنَّ له الخلق والأمر، وانما يقصدون بأفعالهم هذه

تعظيم شعائر الله، وقد علمت أنها راجعة إلى تعظيم الله والخضوع له والتقرب إليه سبحانه، والخلوص لوجهه الكريم، وأنه ليس في ذلك أدنى شائبة للشرك، لأن الشرك – كما عرفت– أنْ يعبد الإنسان غير الله، والعبادة إنما تتحقق بالخضوع لشيء على أنه رب يُعْبَد، وأين هذا من تعظيم النبي الأكرم وأوصيائه الطاهرين(ﷺ) بما هو نبي وهم أوصياء، وبما أنهم عبادٌ مُكْرَمون، ولاريب في أنَّ المسلم لا يعبد النبي أو الوصي فضلاً على ان يعبد قبورهم)[٨٥]. فمعالجة عوائق فهم العقيدة الصحيحة للمتوهم أو المتهم من أهم الوسائل التصحيحية للبناء العقائدي.

ومن مظاهر الجهل الذي يعد مانعاً من التوحيد ماحدَّثنا به القرآن الكريم من اختلاق الكفار بنين وبنات إلى الله تعالى بغير علم منهم، فنسبوا إليه الولد، فكان من جهلهم أن نسبت اليهود عزيراً إلى الله، وكان مثلهم النصارى في قولهم المسيح ابن الله، وقد ذكرهم القرآن الكريم وكذبهم الصريح، فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٨٦]، ويشبهم الكفار في قولهم الملآئكة بنات الله– تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فقال الله فيهم وفي أمثالهم: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٨٧]، فهذا الجعل هو من الجهل وتعمد الافتراء على الله سبحانه بغير علم إذ (المخلوق لا يجوز أنْ يشارك خالقه في مقامه)[٨٨].

وقد وجد في البشرية قديماً وحديثاً من عِلْيَة القوم مَنْ يستخف بعقول الناس، طالباً منهم عبادته من دون الله، وهذا من جهله بحقيقة ربه ﷻ، بل ومن جهله بحقيقة البناء الإلهي للنفس البشرية، قال تعالى عن حال فرعون وقومه: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[٨٩].

يقول سيد قطب حول استخفاف الطغاة بالجماهير وعزلهم عن سبل العلم والمعرفة، تقليداً وتشبيهاً لما فعله فرعون فيقودونهم ذات اليمين وذات الشمال: (واستخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابة فيه، فهم يعزلون الجماهير أولاً عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، ولا يعودوا يبحثون عنها، ويلقون في روعهم ما يشاءون من المؤثرات حتى تنطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة، ومن ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك، ويلين قيادهم، فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين! ولا يملك الطاغية أنْ يفعل بالجماهير هذه الفعلة الا وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق، ولا يمسكون بحبل الله، ولا يزنون بميزان الإيمان)[٩٠].

وهذا بطبيعة الحال لا يبرِّئ المستضعف دائماً، فالمحتوى الداخلي للإنسان يتمثل بركنين أساسيين لهما الدور الكبير في بناء الإنسان وهما: الفكر والارادة، ولهذين الركنين الدور المهم والأساس في تغيير حركة الفرد والمجتمع، فـ(المحتوى الداخلي للإنسان هو القاعدة لحركة التاريخ، فالبناء الاجتماعي العلوي بكل ما يضم من علاقات وأنظمة وأفكار وتفاصيل مرتبط بهذه القاعدة، ويكون تغييره وتطوره تابعاً لتغير هذه القاعدة وتطورها، فإذا تغير الأساس تغير البناء العلوي، وإذا بقي الأساس ثابتاً بقي البناء العلوي ثابتاً)[٩١]، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[٩٢].

وهذه الآية الكريمة تدل على أن التغيير الداخلي يسهم بشكل كبير في بناء المسيرة الجماعية للأمة وتغييرها، ونفض غبار الجهل والتوجيه نحو المعرفة الإلهية بعيداً عن أية ضغوطات.

٢- نقد الجهل بحقيقة النبوة: جهلت الأقوام الكافرة رسالة النبوة التي بُعث بها الأنبياء، من حيث انه مكلف بالبلاغ وليس الاتيان بعذاب أو بمعجزات مقترحة، فأخذوا يطالبون أنبيائهم ماليس بمقدورهم، ولاهو من خصائص نبوتهم.

فنلحظ أنَّ القرآن الكريم ينفي العلم عمن طلبوا الآيات من أنبيائهم(عليهم السلام)، لا من أجل الاهتداء بل عناداً منهم ومكابرة، وشابهوا في ذلك مَنْ قبلَهم من اليهود والنصارى في الجهل بحقيقة الرسالة والنبوة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٩٣].

مما يعني أن (الآيات التي يطالبون بها مأتية مبينة، ولكن لا ينتفع بها إلا قوم يوقنون بآيات الله، وأما هؤلاء الذين لا يعلمون، فقلوبهم محجوبة بحجاب الجهل، مئوفة بآفات العصبية والعناد، وما تغني الآيات عن قوم لا يعلمون.. ومن هنا يظهر وجه توصيفهم بعدم العلم)[٩٤]، وهو الجهل بحقيقة الرسل، وحقيقة ما أرسلوا به، فطلب مشركو مكة من النبي(صلى الله عليه وآله) أن يكلمهم الله كما طلب ذلك بنو إسرائيل من موسى(عليه السلام) أن يروا الله سبحانه بلا حجاب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [٩٥]، ونتيجة لجهلهم هذا وإساءتهم (ان العقوبة اصابتهم في حين الاساءة والعجرفة اذ طمعوا فيما لم يكن لينال لهم)[٩٦].

ثم تمادى هؤلاء المشركون فطلبوا رؤية الله راكبين سنن مَن كان قبلهم حذو القذة بالقذة. ومثل ذلك طلب مشركوا مكة من النبي(صلى الله عليه وآله)، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾[٩٧]، وهذا غاية الظلم والطغيان الذي ينبع من الجهل بحقيقة النبوة الذي يؤدي بدوره إلى بناء مخطوء للنفس

الإنسانية، إذ أرادوا أن يكلمهم الله سبحانه من دون وساطة النبي(ﷺ) بأملائهم (رتبة التكليم الرباني من غير توسط الرسول والملك، ولم يكتفوا بهذا الذكر الحكيم والخارق العظيم)[٩٨] ووجود النبي(ﷺ) بين ظهرانيهم.

ثانياً: نقد التقليد:

ومن أهم موانع الإيمان بالعقيدة التقليد وتتجلى أهميته في كثرة ذكره في القرآن وتكرره عند أغلب أقوام الأنبياء وأممهم[٩٩]، وحجتهم في ذلك: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[١٠٠]، وقد تمسك بهذه الحجة الداحضة خلفاً عن سلف وجيلاً بعد جيل وقرناً تلو قرن، ولم يقتصر التقليد على أصل التوحيد والإيمان بالله، بل تعداه إلى أصول العقيدة الأخرى وسائر تفاصيلها، ومنها:

١- نقد عقيدة التقليد للأمم بعضها لبعض في اتهام الرسل والدعاة بالبشرية: وقد تجلى هذا التقليد في أمرين قوبل بهما سائر الأنبياء وهما:

أ. نقد شبهة بشرية الرسل: تكاد هذه الشبهة أن تطرد عند جميع الأمم والأقوام المكذبة للرسل(ﷺ)، ظناً منهم ان الرسالة لا تنبغي إلا لملك مقرب، والبشر أدنى من هذا المستوى، ولئِن كانت لبشر فينبغي أن تكون لرجل عظيم في المال والجاه.

وقد جاءت هذه الشبهة على لسان الأقوام في أكثر من آية قال تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[١٠١]، فما كان من الأنبياء(ﷺ) في مقابل هذه الشبهة إلا الأعتراف ببشريتهم والتأكيد عليها والتسليم بها وأنهم ما هم إلا بشر مربوبون مخلوقون فقراء إلى الله ربهم (ينعم عليهم بالنبوة ويثبتهم بالمعجزة)[١٠٢].

يقول الرازي: (إن التماثل في البشرية والإنسانية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة لان هذا المنصب منصب يمنُّ الله به على من يشاء من عباده، فاذا كان الأمر كذلك فقد سقطت هذه الشبهة)[١٠٣].

وقد امتدت هذه الشبهة بآثارها إلى زماننا الحاضر، فما فتيء الإنسان المعاند محتجاً بهذا التقليد، زاعماً أنَّ الدين والنبوة والكتب السماوية ظواهر بشرية من وضع البشر، بل فئة خاصة من البشر هم طبقة الفقراء والمحرومين، فهذه الماركسية ترى أن منشأ الدين هم الضعفاء والفقراء أنفسهم، وان الواقع السيء الذي تعيشه الطبقة المضطهدة في المجتمع الطبقي تفجر في ذهنيتها الأفكار الدينية لتستمد منه السلوة والعزاء، والدين في نظر ماركس انعكاس لشقاء فعلي واحتجاج على هذا الشقاء[١٠٤]، فإنكار إلهية النبوة وربانية الأديان ونسبتها إلى البشر ظاهرة عامة في كل الأمم.

يقول سيد قطب: (وهذا القول الذي يقوله مشركو مكة في جاهليتهم يقوله أمثالهم في كل زمان،

ومنهم الذين يقولونه الآن ممن يزعمون أن الأديان من صنع البشر، وأنها تطورت وترقت بتطور البشر وترقيهم... وهذا القول يقوله- قديماً وحديثاً- من لا يقدر الله حق قدره، ومن لا يعرف كرم الله وفضله، ورحمته وعدله، انهم يقولون: إن الله لا يرسل من البشر رسولاً ولو شاء لأنزل ملائكة!)[١٠٥].

كما يفند السيد محمد باقر الصدر الرؤية الماركسية ونظريتها حول نشأة الدين بقوله(ﷺ): (إنه لا يمكن أن يُفسر الدين تفسيراً طبقياً، وأن يعتبر انعكاساً عقلياً لظروف الاضطهاد التي تحيط بالطبقة المُستغلة)[١٠٦]، فلم تكن نشأة الدين من جراء تناقص طبقي أو من صنع مستغلين ظالمين تكريساً لاستغلالهم، أو مُستَغلين مظلومين تنفيساً لهم، لان الإيمان بالدين سبق في تاريخ البشرية أي تناقضات من هذا القبيل[١٠٧].

ب- نقد التكذيب والاستهزاء والطرد: قد حكى القرآن الكريم أساليب شتى اتبعها المشركون المعاندون في صدر دعوة الحق، ومن أهمها وأكثرها اطراداً الاستهزاء والعمد إلى اسلوب السخرية والتهكمَّ بغية تسقيط شخصية النبي(ﷺ) كي لا يؤثر في أوساط الفئة الواعية، ويحاولون به تغطية ضعفهم وعجزهم أمام المنطق القوي، وتارة يأخذهم الاستغراب لدعوات الأنبياء الثورية ضد طريقة حياتهم الموبوءة، محاولة إغواء وجدانهم السارح في المتاهات كي لا يصحو، وقد يكون الاستهزاء بسبب أن مقياسهم الخاطل ومعيارهم للقدوة والقائد فيما تعارفوا عليه في مواصفات الزعيم أو القائد ان يكون من الطبقة الثرية المترفهة، وأخيراً قبولهم لدعوة النبي(ﷺ) حسب تصورهم يستلزم تقويضاً لكل شهواتهم الدنيوية، وبالتالي يلجأون للاستهزاء لتبرير أغراضهم وإنكارهم وإراحة ضمائرهم[١٠٨].

ووسيلة الاستهزاء مما تعارف عند هؤلاء الناس المعاندين عبر التاريخ، فالقرآن يواسي النبي(ﷺ) بما لقيه من قومه من الاستهزاء، بان الأنبياء السابقين قد لقوا من قومهم مالقيت من قومك من الاستهزاء، وهذا ما يُقلد به المستكبرون أقرانهم به.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ، وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[١٠٩]، يقول السيد الطباطبائي: (ان البشر الاولين كالآخرين جرت عادتهم على أن لا يحترموا الرسالة الإلهية ويستهزئوا بمن أتى بها ويمضوا على إجرامهم، لتكون في ذلك تعزية للنبي(ﷺ) فلا يضيق صدره بما قابلوه به من الإنكار والاستهزاء)[١١٠].

ومن مظاهر الطعن بالرسول الطعن في نسبة القرآن الذي أتى به من عند الله عز وجل وعزوه إليه (ﷺ) والطاعنون في القرآن حائرون في نسب القرآن، لا يدرون اينسبونه إلى تعليم بشر،

أم إلى نفس صاحبه (ﷺ)، ام يجمعون بين النسبتين كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾[١١١]، وهذا الرأي يروجه الملحدون اليوم باسم الوحي النفسي، وهو الرأي الجاهلي القديم، فقد صوروا النبي(ﷺ) رجلاً ذا خيال واسع وإحساس عميق فهو إذاً شاعر، ثم زادوا فجعلوا وجدانه يطغى على حواسه حتى يُخَيَّل إليه أن شخصاً يكلمه وليس الأمر كذلك، بل هو صورة أخيلته فهو إذاً الجنون (حاشا لله ولرسوله)، ولما بدا لهم في القرآن جانب الأخبار الماضية والمستقبلية تركوا كلمة الوحي النفسي وقالوا إنَّ الذي علمه بشر، فكان الإلحاد في ثوبه الجديد صورة ممسوخة منه في أقدم أثوابه، وكان غذاء هذه الأفكار المتحضرة في العصر الحديث مستمداً من فتات موائد عصور الجاهلية الأولى، فهم يضاهئون قول جهال قريش[١١٢].

ولما لم يُجْدِ التكذيب والاستهزاء نفعاً أمام المستمسكين بدينهم، الثابتين عليه، رفع أهل الكفر سقف المحاربة إلى التهديد والوعيد لرسل الله وأتباعهم بالإخراج من اوطانهم، فقال سبحانه: ﴿وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[١١٣].

هكذا هو منطق التاريخ ينبئنا أن الظالمين يلجأون إلى القوة والعنف عند ضعف المنطق والعقيدة، ويتركون الاستدلال والحجة، فيعلّون في الأرض متجبرين، متخذين النفي والإبعاد وسيلة للخلاص السريع، (وكأن هؤلاء القوم يعتبرون جميع ما في الأرض ملكهم، حتى إنهم لم يمنحوا لرسلهم حقوق المواطنة، ولذلك يقولون- أرضنا- وفي الحقيقة فإن الله ﷻ خلق الأرض وكل مواهبها للصالحين، وهؤلاء الجبابرة في الواقع ليس لهم أي حق فيها)[١١٤].

وكذلك نجد هذا الأسلوب في الأعتراض والامتناع عن الهداية متوارث عند الظالمين تجاه رسلهم، فالنفي والطرد من فعل الكافرين الذين تتابعوا عليه، فسلك اللاحقون سبيل السابقين، وهذا النفي والاخراج كان تهديداً من قوم شعيب لشعيب(عليه السلام) ومن آمن معه، قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[١١٥]، وكذلك من قوم لوط له(عليه السلام) ومَنْ آمن معه، قال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾[١١٦]، وهكذا سائر الأنبياء إلى أن جاء زمن الحبيب محمّد(ﷺ) فكانت المؤامرة التي حكى الله تعالى عنها، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١١٧].

يقول ابن عاشور: (كادوا أنْ يخرجوك من بلدك، وذلك بأنْ همُّوا بأنْ يخرجوه كرهاً ثم صرفهم الله عن ذلك ليكون خروجه بغير إكراه حين خرج مهاجراً عن غير علم منهم لأنّهم ارتأوا بعد زمان

أن يُبقوه بينهم حتى يقتلوه)[١١٨]، وان مخرجيه لا يلبثون بعده إلا قليلاً، كما أشارت الآية[١١٩].

فشاء الله تعالى أن تكون الهجرة لنشر الدعوة الإسلامية هي أعظم الاحداث الدعوية والحركية، لان بها قامت دولة الإسلام، ووجدت قاعدته التي حملت هذه الدعوة ابتداء، وقدمتها للعالم انتهاء، ولذلك أرّخ المسلمون بالهجرة[١٢٠].

وتبقى سنة الله تعالى في أرضه إذ يعمد الجاهلون إلى اخراج المصلحين واصحاب العقيدة الحقة من ديارهم، ظلماً وعدواناً، والرسول(عليه السلام) ليس ببدع عما سبقه من الأنبياء والصالحين، فـ(رؤساء الكفر والظلال، وهكذا في كل زمان ومكان استكبروا عليه وعلى من آمن بدعوته، فهددوهم بإخراجهم جميعاً من قريتهم إن لم يعودوا في ملة الكفر)[١٢١]، وهذا الإخراج والطرد لا يختص بالأنبياء أو اتباع الأنبياء فهو وسيلة منع وصد عن الهدى، مورست مع اصحاب العقيدة الحقة بصورة عامة.

٢- نقد التقليد في إنكار البعث:

الإيمان بالمعاد أمر مشترك بين سائر الأديان السماوية وهو من أصول الدين التي يتوقف عليها انتماء المسلم للإسلام، ويشمل الإيمان بذلك اشراط الساعة ومقدمتها من تغير الظواهر الكونية، والإيمان بالبرزخ بعد الحياة الدنيا، والإيمان بالساعة، والجنة والنار.

والإيمان يعني التصديق الذي لاشك فيه ولا شبهة، ومالم يكن كذلك فلا يكون إيماناً، ولكن هناك طوائف من الناس تنكر الآخرة، وتكفر بذلك، وتقول ان الحياة إنما هي هذه الدنيا التي نحياها، وانه ليس معنى الموت إلا الفناء، والزوال، والانتهاء، والانعدام الذي لا حياة بعده[١٢٢].

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ، إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾[١٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[١٢٤]، فهم يقولون ان هذا الكون الذي نعيش فيه أبدي و(ليس الحياة إلا حياتنا التي نحن فيها في دار الدنيا، ولا يكون بعد الموت بعث ولا حساب)[١٢٥]، وهذا كفر صريح بالآخرة، والله تعالى أبرز ضلالهم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[١٢٦]، فالآية تشير صراحة إلى أنَّ الإيمان متكامل الأطراف، لا يقبل الإيمان بمفردة دون الأخرى، أي ببعض دون بعض، فلا يمكن قبول مَنْ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، مالم يكتمل هذا الإيمان بجميع المعارف الأخرى ومنها الإيمان باليوم الآخر، يقول السيد الطباطبائي: (الإيمان بواحد من حقائق هذه المعارف لا يتم الا مع الإيمان بجميعها من غير استثناء، والرد لبعضها مع الاخذ ببعض آخر كفر لو أظهر، ونفاق لو

كتم وأخفي)[١٢٧].وقد توعد الله تعالى بالعذاب الشديد من كفر باليوم الآخر كأسلوب من أساليب الردع والمعالجة، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ، وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[١٢٨]، فهذه النهاية تتفق (مع الخلائق التي أبت على نفسها سعة التصور الإنساني وآثرت عليه حجر التصور الحسي! والتي أبت ان ترتفع إلى الافق الانساني الكريم، وأخلدت إلى الأرض، وأقامت حياتها وعاشت على أساس ذلك التصور الهابط الهزيل! لقد ارتكست هذه الخلائق حتى أهلت نفسها لهذا العذاب، الذي يناسب طبائع الكافرين بالآخرة، الذين عاشوا ذلك المستوى الهابط من الحياة! بذلك التصور الهابط الهزيل!)[١٢٩].

واليوم الآخر يوم أخبرت به الرسل جميعاً، وهو يُدْرَك عقلاً – إنْ أحسن العقل التفكير–، إلا أنَّ كثيراً من الناس قد عطلوا عقولهم وأسلموها لغيرهم انقياداً لهم وتبعية، وباتوا يتذرعون بأنَّ ما جاءت به الرسل إنْ هو إلا اساطير الأولين، وهو ما كان فيه مصيرهم من العذاب الشديد كما اخبر القرآن الكريم بذلك.

وهذا الافتراء والتكذيب باليوم الآخر هو تقليد ومحاكاة لمن كان قبلهم من المنكرين في كل عصر ومكان، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ، قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ، لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[١٣٠].

والباعث على إنكارهم يوم القيامة تقليدهم للآباء، فهم قالوا مثل ما قال أسلافهم ومَنْ دان بدينهم، وكذبوا مثل ما كذب الأولون، ومعوَّل القوم في تكذيبهم البعث أنه وعد متكرر لآبائهم الاقدمين، ووجه ذكرهم الآباء– كما يقول ابن عاشور–: (دفع ماعسى أن يقول لهم قائل: إنكم تبعثون قبل أن تصيروا تراباً وعظاماً، فأعدوا الجواب بأنَّ الوعد بالبعث لم يكن مقتصراً عليهم فيقعوا في شك باحتمال وقوعه بهم بعد موتهم وقبل فناء أجسامهم، بل ذلك وعد قديم وُعد به آبائهم الاولون، وقد مضت أزمان وشوهدت رفاتهم في أجداثهم وما بعث أحد منهم)[١٣١].

وقد ذكر الله تعالى أنَّ قوم عاد ردوا على نبي الله هود(عليه السلام) دعوته في الإيمان بالبعث، منكرين التعذيب لهم بعد الموت، معللين ذلك بأنه خلق آبائهم الأولين ومنهجهم وطريقتهم قال سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٣٢] إلى أن يقول عنهم: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ، إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[١٣٣]، فأهل عاد يقتدون بمن سبقهم في اتباع دينهم بإنكار البعث والحساب.

يقول الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) في تفسير قولهم: (ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا عادة

الاولين الذين تقدمونا من آباء وغيرهم بهم مقتدون)[١٣٤].والإنسان الكافر يستبعد بعثه بعد موته، فيعبر عن ذلك بسؤال استنكاري كما اخبر الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾[١٣٥]، وبما (أنَّ هذا السؤال مخفي في طبع كل إنسان في البداية بزيادة ونقيصة، وبسماع مسألة الحياة بعد الموت سترسم في ذهنه علامة الاستفهام فوراً)[١٣٦]، فكان الجواب أنَّ الله تعالى أقام الحجة على صحة البعث بقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[١٣٧]، وإقامة الحجة والبرهان جزء من الاسلوب العلاجي للبناء العقائدي، وفي الآية إشارة إلى الإنسان أنْ لا يجلس ساكتاً عند تبادر هكذا سؤال وعليه أنْ يُعْمِلَ عقله كما أراد الله سبحانه لتحقيق البناء العقدي.

وفي العصر الحديث أطلَّ علينا فكرٌ إلحادي لا يؤمن إلا بالمادة، فكل ما هو محسوس ومشاهد فهو الموجود، أما غير ذلك من غيب غير مُشاهَد فلا إيمان به البتة بل لا وجود له، وبناءً على ذلك فليس للكون نهاية ولا حدود، ولا يوجد يوم آخر[١٣٨]، وهؤلاء القوم امتداد للماديين أعداء الرسل الذين آمنوا بالمادة وأنكروا البعث والذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ، وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾[١٣٩]. ولا يمكن بطبيعة الحال ان نقيس قوانين هذه الحياة الدنيا على نظام الحياة الآخرة فلا (تجري فيه القوانين المادية ولا الأسباب المادية، كما تجري اليوم في نظامنا الحاضر)[١٤٠].ويُلاحظ أنَ الذي يتولى إنكار البعث أيضاً هم المترفون، وهذا يتابع ايضاً فيه المترفون اللاحقون إخوانهم المترفين السابقين ويحاكونهم في ذلك، فالله تعالى يقول عن قوم سابقين: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ، أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾[١٤١].

ومن غرور المترفين المنكرين للبعث، ظَنُّهم أنَّ الله أعطاهم في الدنيا مالاً وأولاداً، اعتقاداً منهم أنَّ ذلك كرامة لهم من الله، فلأَنْ رجعوا إلى يوم القيامة- على تقدير حصوله عندهم حسب اعتقادهم الفاسد- فسوف يكون لهم الحسنى، فهم يعتقدون- وهماً- أنَّ الله سيؤتيهم يوم القيامة خيراً مما آتاهم في الدنيا- إن وجد بحسب ظنهم- وآيتا سورة سبأ السابقتان تظهران أنَّ هذا الامر مكرور من الخلف تبعاً للسلف.وتكرر الغرور في سورتي الكهف ومريم المتتاليتين في القرآن، فقال تعالى عن رجل كان شاكاً بالمعاد غير قاطع به[١٤٢]: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾[١٤٣]، وتحدثت سورة مريم عن العاص بن وائل[١٤٤]: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾[١٤٥]، فكلاهما أنكر اليوم الآخر، وزعم أنه لوجاء يوم القيامة ليكونن لكلٍّ

منهما خير مما أوتي في الدنيا، ونلحظ التوكيدات في الآيتين: (لأجدن) و(لأوتين)، وهذا يدل على شدة الغرور والجهل الذي يهدم البناء الإنساني وأثر الجهل باليوم الآخر في بناء نفس الإنسان وكيانه وسلوكه.

٣- نقد التقليد في الاحتجاج بالقدر:

بين الله سبحانه في كتابه الكريم الفهم المخطوء للأقوام لعقيدة القدر، وذلك حينما كانوا يتعذرون بالقدر عن فعل المنكر، بعبادة غير الله، وتحريم ما احل الله من الحرث والانعام، وكذلك التلاعب بكيفية اللباس عند الطواف، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[١٤٦]، أي على هذا الطريق سلك الذين من (قبلهم فعبدوا غير الله وحرموا مالم يحرمه الله ثم إذا جاءتهم رسلهم ينهوهم عن ذلك)[١٤٧]، قالوا مقولتهم المتقدمة وعلقوها على الإرادة الإلهية، وان كل ماعملوه من عبادة غير الله تعالى، والتحليل والتحريم هو برضا الله تعالى وبأذنه!. فكان ان (كذبهم الله وأنكر عليهم، وقال مثل ذلك فعل الذين من قبلهم، من الكفار الضلال كذبوا رسل الله، وجحدوا أنبياءه)[١٤٨].

ولا تفوتنا الاشارة إلى ان هذا النهج قد وجد له مرتعاً ومستقراً في بعض أقبية الفكر السياسي من خلال ترويج فكرة القدر عبر تأييد البلاط الأموي لها؛ تكميماً للأفواه ومصادرة لحرية الفرد والمجتمع.وكذلك نلحظ احتجاج الاقوام المتعاقبة على فعل المعاصي بالقدر في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[١٤٩]. يقول ابن عاشور: (أي كذب الذين من قبلهم انبياءهم مثل ما كذبك هؤلاء، وهذا يدل على ان الذين أشركوا قصدوا بقولهم: ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ تكذيب النبي(ﷺ) إذ دعاهم إلى الاقلاع عما يعتقدون بحجة أن الله رضيه لهم وشاءه منهم مشيئة رضى، فكذلك الأمم قبلهم كذبوا رسلهم مستندين إلى هذه الشبهة فسّمى الله استدلالهم هذا تكذيباً، لأنهم ساقوه مساق التكذيب والإقحام، لا لأن مقتضاه لا يقول به الرسول(ﷺ) والمسلمون، فإنا نقول ذلك)[١٥٠].

ثالثاً: نقد أثر وسوسة الشيطان في بناء عقيدة الإنسان:

في المحاورة التي عرض لها القرآن الكريم بين الله ﷻ وإبليس، نلاحظ أن إبليس احتج بالقدر في تسويغ ما فعل، فقال سبحانه عنه: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[١٥١].وما أروع وأعظم ما ورد عن أمير المؤمنين علي(عليه السلام) في إبطال عقيدة الجبر

إذ (كان أمير المؤمنين جالساً بالكوفة بعد منصرفه من صفّين إذا أقبل شيخ فجثا بين يديه ثم قال له: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام أبقضاء الله وقدره؟ فقال له أمير المؤمنين(عليه السلام): أجل ياشيخ ماعلوتم تلعة[١٥٢] ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله وقدر. فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين، فقال له(عليه السلام): (أوتظن أنه كان قضاءً حتماً وقدراً لازماً؟ أنه لوكان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله تعالى وسقط معنى الوعد والوعيد فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمدة للمحسن ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الامة ومجوسها...)[١٥٣].ومن هذا يتضح أن أول مَنْ وقع في شبهة الاعتقاد بالجبر هو الشيطان، فتولد لديه ومن تبعه هذا الاعتقاد الخاطئ بالقدر، ويتبع الاحتجاج بالقدر بهذه الصورة تضييع للحقوق، ففي حالات القتل مثلاً، يأتي أهل الاصلاح لأولياء المقتول من باب القدر، وان هذا الأمر مكتوب على قتيلكم، وذلك لأجل التخفيف عن المجرم أو العفو عنه، وبهذا تضيع الحقوق، فيزداد أهل الحق يأساً، ويزداد المجرم إجراماً.ولم تقتصر آثار الشيطان في العقيدة وهدمها أو إعاقة بنائها على هذا المستوى، فمن أثره على عقيدة الإنسان أمره بعبادة الأصنام قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١٥٤]، فهذه الأعمال رجس؛ لأن الشيطان نجس خبيث لأنه كافر والكافر نجس، والخبيث لا يدعو إلا إلى الخبيث، وكل ما أضيف إلى الشيطان فالمراد من تلك الاضافة المبالغة في كمال قبحه[١٥٥].

وبين الله تعالى أنَّ مَنْ وقع في الشرك فقد ضل ضلالاً بعيداً، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[١٥٦]، قد تحقق فيه هدف الشيطان وهو الإضلال، وعبر بالإضلال البعيد لبيان أنَّ الوقوع في الشرك هو الهدف الأكبر في الدنيا، لما يترتب عليه من عدم مغفرته في الآخرة إنْ مات عليه، فيكون خالداً في النار مع الشيطان وهذا هدفه الأخروي، ثم قال سبحانه في الآية التي تليها مباشرة: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾[١٥٧]، فكل عبادة غير عبادة الله فهي عبادة للشيطان بمعنى اتباعه لأن الاتباع والطاعة العمياء نحوٌ من أنحاء العبادة، بل مجرد الأصغاء هو طاعة وعبادة، وهذا ما عبر عنه الإمام محمد الباقر(عليه السلام) بقوله: (مَن أصغى الى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدي عن الله عز وجل فقد عبد الله، وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان)[١٥٨].

وتحدثنا الآيات عن حال الشيطان، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾[١٥٩]، يعني حظاً مقدراً معلوماً فكل ما أطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضة وأصل الفرض القطع وهذا النصيب هُم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه[١٦٠].وقد اختلفت آراء علماء النفس المسلمين في معنى الوسوسة، وأسوق هنا طرفاً من وصفهم لما له دور في تجلية كنه هذه الخطرات، فمما يورده حسن الشرقاوي: (الخاطر هو خطاب يرد على النفس، شيطاناً كان أو ملاكاً... وسبب التميز بين الخاطر راجع إلى حال النفس...إذ ان سبب غلبة الخواطر المذمومة انشغال النفس بحظوظها وشهواتها واهوائها فترد عليها الوساوس الشيطانية التي تحجبها عن الحقائق وتحسّن لها الأعمال والأفعال المستقبحة وتشغلها باللذات التي تطلبها...)[١٦١].ويقول محمد خليفه: (وإنه ليجري مجرى الدم في العرق حتى يبلغ القلب فيخنس حتى يرى غفلة من الإنسان عن ربه– وما أكثر غفلات الإنسان– فيركب خواطره، ويسبح بها بين الذكريات والاحلام لترتع في لذائذ الشهوات، وتلهث المشاعر وراء الخواطر فإذا وصل الشيطان إلى ما يريد ضحك من أعماقه لأنه أضل الإنسان عن صراط الله المستقيم)[١٦٢].

ومن هنا نفهم بـ(إن ساحة عمل إبليس ونشاطه الإدراك الإنسانيُّ، وسبيل عمله عواطفُ الإنسان وإحساساته الداخلية. وهذا الإبليس يُلقي الأوهام الجوفاء والأفكار الباطلة، في نفس الإنسان)[١٦٣].

ومن الجدير بالذكر أنَّ الله تعالى – وإنْ كان ترك الشيطان حراً في القيام بوساوسه –، ولكنه سبحانه من جانب آخر لم يدع الإنسان مجرداً من الدفاع عن نفسه، لأنه:

أولاً: وهبه قوة العقل التي يمكن ان توجد سّداً قوياً منيعاً في وجه الوساوس الشيطانية، وخوصاً إذا لقيت بناءً عقائدياً صالحاً.

ثانياً: جعل الله تعالى الفطرة النقية وحب التكامل في نفس الإنسان عاملاً فعّالاً من عوامل السعادة.

ثالثاً: يبعث الملائكة التي تُلهم الخيرات إلى الذين يريدون أن يعيشوا بمنأى عن الوساوس الشيطانية الزالة عن العقيدة، كما يصرح القرآن الكريم بذلك اذ يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[١٦٤]، يقول السيد الطباطبائي: (ان المراد ولايتهم لهم بالتسديد والتأييد فإن الملائكة المسددين هم المخصوصون بأهل ولاية الله وأما الملائكة الحرس وموكلو الارزاق والآجال وغيرهم، فمشتركون بين المؤمن والكافر)[١٦٥].رابعاً: الشيطان يزين للإنسان طريق الضلالات ويُحسن له سبيل الشرك والعصيان ويخدعه بوسوسته، إلا

أنه لا يستطيع ان يفعل أكثر من ذلك، فلا سلطان له على ابن آدم لكي يجبره أو يكرهه على شئ وغاية ما يستطيعه التزيين والإغراء.

الخاتمة..

وفي ختام هذه الجولة في حنايا البحث نلحظ أنّ من الواقعية القول إنه لا يجب القفز على كل هذه المشكلات وابقاءها تراكمات في سلة المهملات العقلية، لأن عدم النظر إلى الخلف في الكثير من الأحيان هو قفز على واقع أخر معلوم والعبور لواقع اخر مجهول قد يحمل نتائج سلبية مدمرة، فمن دون مراجعة الماضي ودراسة الأسباب والمسببات التي عملت على وصول الوضع إلى ما نحن فيه اليوم يعد عملاً غير منطقي في عالم لا يسير إلا على وفق ضوابط وقوانين.

وان النقد يجب أن ينصب توظيفه على خدمة المشروع الإسلامي وهذا يعني أن العلاقة بين النقد من جهة وبين المجتمع المسلم من جهة أخرى هي علاقة تكاملية طولية وليست عرضية.

وقد مارس القرآن الكريم والأنبياء (ع) وظيفة الناقد الحقيقي المخلص لأجل تصحيح ممارسات البشر غير المتوافقة مع الواقع القرآني بصورة صحيحة سواء كانت هي ممارسات الكفار والمشركين أو ممارسات من بعض المسلمين.

كما اتضح ان النقد في القرآن الكريم يتكون من خمس خطوات أساسية؛ هي: تحديد القضية وجزئياتها المراد دراستها، ثم الدراسة والفحص للقضية المحددة، ثم الوصول الى النتيجة، ثم إصدار الحكم، وأخيراً إظهار الحق ونصره.

لحظنا ان للمنهج القرآني النقدي أثر تربوي عظيم في سلوك المؤمنين على مر العصور – وهو ما يمكن تسميته بالتربية النقدية – يظهر فيما وضعه من أسس وضوابط للنقد، منها مراعاة الشعور النفسي عند النقد، فعند القيام بعملية استقصاء لجميع صور النقد في القرآن الكريم لن تستطيع إحصاء الموقف السلبي في عملية النقد للإنسان، وحتى في سيرة الأنبياء (ع) نستطيع القول – ونجزم على ذلك – انهم مارسوا ذلك في أحسن صوره وأكملها، بل نجد القرآن يدفع المسلمين للتخلي عن كل ما من شأنه ان يلصق بالدين وهو ليس من الدين، فقد نهى القرآن عن سب الكفار أثناء ممارسة النقد والحوار.

اخيراً إنّ النقد القرآني للانحرافات (العقلية والعقدية) وتشخيصها يُراد من ورائه تمييز الصالح مما دون ذلك، وهذه قضية بارزة في كل نقد، بل هي أصل النقد القرآني عامة.

الهوامش:

(١) سورة الرعد، الآية ١١.

(٢) سورة الجن، الآية ١١.

(٣) للنقد جملة تعريفات في الاصطلاح وما ينسجم وفرضية البحث هو: دراسة الأعمال – القولية والفعلية – وتحليلها وموازنتها بغيرها مما اراده الله من تشريع ثم الحكم عليها لبيان قيمتها على وفق مضمون نصوص القرآن الكريم. ظ: د. احسان الأمين، منهج النقد في التفسير، ص١٥.

(٤) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن طفيل ، ص٤٣ .

(٥) سورة هود ، الآية ٢٩، سورة الاحقاف، الآية ٢٣.

(٦) سورة الاعراف، الآية ١٣٨.

(٧) سورة يونس، الآية ٣٩.

(٨) روح المعاني، ١٦/١١.

(٩) ظ: سميح عاطف الزيني، مجمع البيان الحديث تفسير مفردات الفاظ القرآن الكريم، ص٤٧٣.

(١٠) سورة هود، الآية ٦٢.

(١١) سورة هود، الآية ٦٣.

(١٢) سورة ابراهيم، الآية ١٠.

(١٣) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٣٤/٧.

(١٤) سورة البقرة، الآية ١٧٠.

(١٥) تفسير التحرير والتنوير، ١٠٩/٢.

(١٦) سورة طه، الآية ٨٧.

(١٧) ظ: الآلوسي، روح المعاني، ٧٤٢/١٦.

(١٨) سورة نوح، الآية ٧.

(١٩) الميزان في تفسير القرآن، ٢٨/٢٠.

(٢٠) ستالين، المادية الديالكتيكيّة والمادية التاريخية، ص٢٨.

(٢١) سورة البقرة، الآية ٥٥.

(٢٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤٩٠/١.

(٢٣) النسفي (ت٧٠١هـ)أبي البركات عبد الله، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٥٥/١.

(٢٤) ظ: ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد علي أبو درة، ٢٧٣/٣٠.

(٢٥) الكليني محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هـ)، الكافي، ١٨٣/١.

(٢٦) سورة المؤمنون، الآية ٣٧.

(٢٧) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣١٤/١٠.

(٢٨) سورة الملك، الآية ٢.

(٢٩) سورة الروم، الآية ٧.

(٣٠) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٤/٢١.

(٣١) سورة الاعراف، الآية ١٢.

(٣٢) سورة ص، الآية: ٧٢.

(٣٣) ابن كثير(ت٧٧٤هـ) أبي الفداء عماد الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ٢٠٩/٢.

(٣٤) الآلوسي، روح المعاني، ٤٥٩/٨. ويجدر بالذكر أن مرويات الإمامية جعلت من هذه المقايسة أساساً لرفض القياس الفقهي الذي هو التمثيل المنطقي، ويكتفي الباحث هنا بإيراد رواية عن الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) حين دخول الفقيه أبو حنيفة عليه، فقال(عليه السلام) له: (يا أبا حنيفة، بلغني أنك تقيس؟ قال: نعم، انا أقيس: قال: لا تقس فإن أول من قاس ابليس حين قال: خلقتني من نار وخلقته من طين فقاس ما بين النار والطين، ولو قاس نورية آدم بنورية النار عرف فضل من بين النورين وصفاء احدهما على الآخر). الكليني، الكافي، ٥٨/١.

(٣٥) الصدوق (ت٣٨١هـ) ابي جعفر محمد بن علي بن بابوية القمي، علل الشرائع، ١٤٦/١.

(٣٦) روح المعاني، ٤٥٩/٨.
(٣٧) سورة النساء، الآية: ٨٢، سورة محمد، الآية: ٢٤.
(٣٨) سورة القلم، الآية: ٣٦.
(٣٩) الرازي فخر الدين (ت٦٠٤هـ)، الغيب مفاتيح الغيب، ٨١/٣٠.
(٤٠) سورة الاعراف، الآية ١٦.
(٤١) الراغب، مفردات الفاظ القرآن، ١٨٩.
(٤٢) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣١٧/١٢.
(٤٣) سورة الاعراف، الآية ٧١.
(٤٤) روح المعاني، ٥٥٢/٨.
(٤٥) سورة النحل، الآية ١٢٥.
(٤٦) ابي السعود، إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، ١٠٤/٤ .
(٤٧) سورة إبراهيم، الآية ٢١.
(٤٨) في ظلال القرآن، ٢٠٩٦/٤..
(٤٩) محمود الهاشمي، الإنسان والمعرفة في القرآن الكريم، ص٨٣.
(٥٠) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٢٦/٢.
(٥١) سورة النساء، الآية ٢٧.
(٥٢) روح المعاني، ٢٠/٥.
(٥٣) سورة مريم، الآية ٥٩.
(٥٤) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٦٦/١٤.
(٥٥) الصدوق، علل الشرائع، ٥١/١.
(٥٦) محمود الهاشمي، الإنسان والمعرفة في القرآن الكريم، ص٨٧.
(٥٧) الطيرة: وهو ما يُتشاءم به من الفأل الرديء. ظ: الرازي، مختار الصحاح، ص٤٠٢.
(٥٨) سورة النمل، الآية ٤٧.
(٥٩) التحرير والتنوير، ٢٧٤/١٩.
(٦٠) سورة الحديد، الآية ٢٢.
(٦١) ابي السعود، إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب العزيز، ٢٠٧/٦.
(٦٢) الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، ص١٨٧.
(٦٣) الجرجاني، التعريفات، ص٢٢٧.
(٦٤) سورة النمل، الآية ١٤.
(٦٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٥٨/٢٤.
(٦٦) سورة يونس، الآية ١٣.
(٦٧) سورة الانعام، الآية ١٠٨.
(٦٨) ظ: الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القران، ص٢٩٩.
(٦٩) سورة المائدة، الآية ٩٠.
(٧٠) ظ: القرطبي(ت٦٧١هـ) أبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ٢٨٩/٦.
(٧١) علي الحسيني السيستاني(دام ظله)، الفقه للمغتربين، ص١٥٤.
(٧٢) المحقق الاردبيلي (ت ٩٩٣هـ)، زبدة البيان، ص٦٣٠.
(٧٣) الكليني، الكافي، ١٠/١.
(٧٤) قال الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، (ومما انفردت به الإمامية القول: بان الخمر محرمة على لسان كل نبي وفي كل كتاب نزل، وان تحريهما لم يكن متجدداً)، الانتصار، ص٤٢٢.
[٧٥] سورة الاعراف، ١٣٨.
[٧٦] – مجمع البيان، ٢٥٠/٤، ظ: الطوسي (٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، ٤٨٣/٤.
[٧٧]– تفسير المنار، ٩٩/٩.
[٧٨] سورة الاعراف، ١٣٨.

[79]- احمد بن حنبل(ت٢٤١هـ)، مسند الإمام احمد، ٢٢٦/٣٦، ظ: الترمذي(٢٠٩هـ)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، ٤٧٥/٤.

[80]- ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٤/٤.

[81] - سورة الزمر، ٦٤.

[82]- في ظلال القرآن، ٤٠٦١/٥.

[83]- للتوسعة: ظ: محمد ناصر الدين الالباني، تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، المكتب الإسلامي، ص٤.

[84] - الجامع لأحكام القرآن، ٤١/٢.

[85]- البيان في تفسير القرآن، ص٥٠١.

[86]- سورة التوبة، ٣٠.

[87]- سورة الانعام، ١٠٠.

[88] - محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢٥٩/٧.

[89]- سورة الزخرف، ٥٤.

[90]- في ظلال القرآن، ٣١٩٤/٥.

[91]- محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص١٠٦.

[92]- سورة الرعد، ١١.

[93]- سورة البقرة، ١١٨.

[94]- الميزان في تفسير القرآن، ٢٢١/١.

[95]- سورة البقرة، ٥٥.

[96]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤٩١/١.

[97]- سورة الفرقان، ٢١.

[98]- القاسمي (ت١٩١٤م) محمد جمال الدين، محاسن التأويل، ٣٠٦٨/٧.

[99]- ظ: على سبيل المثال: سورة البقرة، ١٧٠، سورة المائدة، ١٠٤،٧٧، سورة لقمان، ٢١، ..

[100]- سورة الزخرف، ٢٢.

[101]- سورة ابراهيم، ١١، وبنفس المعنى، ظ: سورة التغابن، ٦، سورة هود، ٢٧، سورة المؤمنون، ٢٤،...

[102]- الطبرسي (ت٥٤٨هـ) أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان، ٤٨/٦.

[103]- مفاتيح الغيب، ٨٦/١٩.

[104]- نقلاً عن: روجيه غارودي، ماركسية القرن العشرين، ص١٤٥.

[105]- في ظلال القرآن، ١١٤٥/٢.

[106]- اقتصادنا، ١١٨/١.

[107]- ظ: محمد باقر الصدر، المرسل الرسول الرسالة، ص١٠٣.

[108]- للتوسعة في هذه الأسباب، ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٥/٨.

[109]- سورة الحجر، ١٠-١١، وظ: في هذا المعنى، سورة يس، ٣٠، سورة سبأ، ٩،...

[110]- الميزان في تفسير القرآن، ١١٣/١٢.

[111]- سورة الدخان، ١٤.

[112]- ظ: محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٧٠، ص٦٧.

[113]- سورة ابراهيم، ١٣، وتجدر الإشارة ان لفظ (لَتَعُودُنَّ) ان المقصود ليس الأنبياء(ﷺ) فهم معصومون حتى قبل نبوّتهم، وإذا كان، ذلك ان الأنبياء(ﷺ) قبل البعثة لم يكونوا مأمورون بالإبلاغ فكان من سكوتهم هذا توهم المشركون انهم على عقيدتهم، وان كان الخطاب موجه للأنبياء(ﷺ) فإن الاتباع مشمولين، فكان ذلك من باب التغليب، ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٤١/٧، محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢٨/١٢، الآلوسي، روح المعاني، ٢٥٠/١٣.

[114]- ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٤١/٧.

[115]- سورة الاعراف، ٨٨.

[116]- سورة النمل، ٥٦.

[117]- سورة الاسراء، ٧٦.

[118]- التحرير والتنوير، ١٤١/١٤.

[119]- وكان من اللبث القليل ان قتل من صناديد الكفار في معركة بدر، ولم يحدث الاستئصال لهم جميعاً، لأن النبي(ﷺ) خرج مهاجراً بأمر ربه، أملاً بأعقابهم ومن يهرب منهم من المعركة، ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٢١١/٦، الآلوسي، روح المعاني، ١٦٦/١٥.

[120]- ظ: سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية، ص٣٢٨.

[121]- خالد عبد الرحمن العك، معالم النبوة في الكتاب والسنة، ص١٠١.

[122]- وسمو هؤلاء بـ(الدهرية)، وهم: (جماعة من الفلاسفة المادّيّين الذين يعتقدون بسرمدية الدهر وأبديته، والدهر بمعنى الزمان الذي لا يفنى، وهؤلاء يقولون: إن الزمان يمر وينقضي، أما الدهر فهو سرمدي دائم)، للتوسعة ظ: د. محمد جواد مشكور، موسوعة الفرق الإسلامية، ص٢٤٧.

[123]- سورة الدخان، ٣٤-٣٥.

[124]- سورة الجاثية، ٢٤.

[125]- الطبرسي، مجمع البيان، ٩٤/٩، ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٢٠٦/٩.

[126]- سورة النساء، ١٣٦.

[127]- الميزان في تفسير القرآن، ٩٩/٥.

[128]- سورة الانعام، ٢٩-٣٠.

[129]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٠٧/٢.

[130]- سورة المؤمنون، ٨١-٨٣.

[131]- التحرير والتنوير، ١٠٨/١٨.

[132]- سورة الشعراء، ١٢٣.

١٣٣- سورة الشعراء، ١٣٦-١٣٨.

١٣٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١٥٠/١٩.

(١٣٥) سورة مريم، ٦٦.

(١٣٦) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٤٦/٩، ظ: الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٠٦/٢١.

(١٣٧) سورة مريم، ٦٧.

(١٣٨) ظ: مقولات الشيوعيين وكثير مقولات العلمانيين.

(١٣٩) سورة سبأ، ٣٤-٣٥.

(١٤٠) سعيد حوى، الإسلام، ص٧٨٣.

(١٤١) سورة الواقعة، ٤٨.

(١٤٢) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٢٥٨/٦.

(١٤٣) سورة الكهف، ٣٦.

(١٤٤) وقيل نزلت بالمغيرة بن شعبة، ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٣٣٥/٦، الآلوسي، روح المعاني، ٥٩١/١٦.

(١٤٥) سورة مريم، ٧٧.

(١٤٦) سورة النحل، ٣٥.

(١٤٧) الميزان في تفسير القرآن، ٢٠٥/١٢، ويرى الرازي ان هذه الآية دالة على الجبر (فمنهم من هداه الله إلى الإيمان والصدق والحق، ومنهم من أضله عن الحق وأعماه عن الصدق، وأوقعه في الكفر والضلال، وهذا يدل على ان أمر الله تعالى لايوافق إرادته، بل قد يأمر بالشيء ولايريده و ينهى عن الشيء ويريده كما هو مذهبنا)، مفاتيح الغيب، ٢٤/٢٠، ويقول الزمخشري: (وهذا مذهب المجبرة بعينه)، الكشاف، ٥٦٤/٢.

(١٤٨) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٣٤١/٦.

(١٤٩) سورة الانعام، ١٤٨.

(١٥٠) التحرير والتنوير، ١١١/٧.

(١٥١) سورة الاعراف، ١٦.

(١٥٢) التلعة: بوزن القلعة ما أرتفع من الأرض وما انهبط وهو من الأضداد، الرازي، مختار الصحاح، ص٧٨.

(١٥٣) الكليني، الكافي، ١٥٥/١.

(١٥٤) سورة المائدة، ٩٠.

(١٥٥) ظ: الرازي: مفاتيح الغيب، ٦٧/١٢.

(١٥٦) سورة النساء، ١١٦.

(١٥٧) سورة النساء، ١١٧.

(١٥٨) الكليني، الكافي، ٤٣٤/٦.

(١٥٩) سورة النساء، ١١٨.

(١٦٠) للتوسعة ظ: محمد الميسر،عبدة الشيطان في البيان القرآني والتأريخ الإنساني،ص٣٧.

(١٦١) نحو علم نفس اسلامي، ص٩٥.

(١٦٢) الاستعاذة في القرآن الكريم، ص١٦١.

(١٦٣) إبليس في القرآن والحديث، ص٣٩.

(١٦٤) سورة فصلت، ٣٠، وبنفس المعنى ظ: سورة الانفال، ١٢.

(١٦٥) الميزان في تفسير القرآن، ٣٣٧/١٧، في حين يرى الآلوسي الإطلاق في الآية (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) وهو شاهده، ظ: روح المعاني،٥١٠/٢٤، والسيد الطباطبائي يرى أن التنزل بهذه البشرى عليهم هو بعد الحياة وشاهده قول الملائكة: (الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)، وان شاهده هو المقطع الاخير من الآية على حين ان الباحث لا يرى اشتراطاً لتقييد نزول الملائكة وتسديدهم بعد الحياة، إذ لا مانع من تسديد الملائكة للبشر في الدنيا، وعليه يميل الباحث إلى ما ثبته في المتن.

قائمة المصادر

* خير ما نبدأ به: القرآن الكريم

١. احمد بن حنبل(ت٢٤١هـ)، مسند الإمام احمد، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م.

٢. احسان الأمين (الدكتور)، منهج النقد في التفسير، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٧م.

٣. الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)أبو الفضل شهاب الدين البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

٤. الترمذي محمد بن عيسى السلمي (ت٢٠٩هـ)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: احمد محمد شاكر وآخرين، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٥. جرجاني الشريف (ت٨١٦هـ) علي بن محمد، التعريفات، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٣م.

٦. حسن الشرقاوي، نحو علم نفس اسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٤م.

٧. خالد عبد الرحمن العك، معالم النبوة في الكتاب والسنة، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٥.

٨. الرازي فخر الدين (ت٦٠٤هـ)، الغيب مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.

٩. روجيه غارودي، ماركسية القرن العشرين، ترجمة: نزيه الحكيم، دار الآداب، بيروت، ط٤، ١٩٧٨

١٠. الزمخشري (ت٥٣٨هـ) أبي القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.

١١. ستالين، المادية الديالكتيكيّة والمادية التاريخية، المكتبة الاشتراكية، دار دمشق للطباعة.

١٢. سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٩.

١٣. أبي السعود محمد بن محمد (ت٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

١٤. سميح عاطف الزيني، مجمع البيان الحديث تفسير مفردات الفاظ القرآن الكريم، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٥. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٣٤، ٢٠٠٤م.

١٦. الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، الانتصار، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤١٥هـ.

١٧. الصدوق (ت٣٨١هـ) ابي جعفر محمد بن بابوية القمي، علل الشرائع، دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٤م.

١٨. الطبرسي (ت٥٤٨هـ) أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان، مكتبة دار المجتبى، النجف، ٢٠٠٩م.

١٩. الطوسي (٤٦٠هـ) أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير ألعاملي، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٠م.

٢٠. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، (د ت).

٢١. عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن طفيل، ط١٢، بيروت، ١٩٨٦م .

٢٢. علي الحسيني السيستاني(دام ظله)، الفقه للمغتربين، إعداد: عبد الهادي السيد محمد تقي الحكيم، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط٤، ٢٠٠٤م.

٢٣. القاسمي(ت١٩١٤م) محمد جمال الدين، محاسن التأويل، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م.

٢٤. القرطبي(ت٦٧١هـ) أبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: د. مجدي محمد سرور، سعد باسلوم، دار البيان العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٢٥. ابن كثير (ت٧٧٤هـ) أبي الفداء عماد الدين الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار صبح، بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م.

٢٦. الكليني محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي اكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران،١٣٦٣هـ ش.

٢٧. المحقق الاردبيلي (ت٩٩٣هـ)، زبدة البيان، تحقيق: محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران.

٢٨. محمد الميسر، عبدة الشيطان في البيان القرآني والتأريخ الإنساني، دار الوفاء،المنصورة،١٤١٩هـ

٢٩. محمد باقر الصدر(قدس سره)، اقتصادنا، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي، مؤسسة بقية الله، النجف الأشرف، ٢٠٠٣م.

٣٠. ــ، المدرسة القرآنية، دار التعارف، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

٣١. محمد باقر حجي(الدكتور)، إبليس في القرآن والحديث، دار المجتبى، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٢. محمد جواد مشكور(الدكتور)، موسوعة الفرق الإسلامية، تعريب: علي هاشم، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، ١٩٩٥م.

٣٣. محمد خليفه، الاستعاذة في القرآن الكريم، مجلة الازهر، مصر العدد (٥)، مارس، ١٩٨٣م.

٣٤. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٧٠.
٣٥. محمد ناصر الدين الالباني، تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، المكتب الإسلامي، بيروت،ط٤.
٣٦. محمود الهاشمي، الإنسان والمعرفة في القرآن الكريم، مجلة رسالة القرآن، دار القرآن الكريم، إيران، قم، ١٤١١هـ.
٣٧. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.
٣٨. النسفي(ت٧٠١هـ)أبو البركات عبد الله، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩م.

ملخص الانكليزي:

Criticism of Quranic and mental deviation

In this research, the researcher tackled the Qur'anic approach in criticizing the mental and doctrinal deviations, because these two issues are of great importance in the life of man. The researcher mentioned in the introduction the importance of research and the reason for his selection. The research plan was based on two demands: first, the Qur'anic criticism of mental deviation; Quranic deviation of the nodal, and then the conclusion of the most important results.